# أثر توجيه القراءات القرآنية المتواترة في بناء الخطاب العقدي في سورة الشورى

فاطمة سعد النعيمي*

# The Impact of the Interpretation of *Mutawātir* Qur'anic *Qirāʾāt* on the Ideological Construction of Doctrinal Discourse in *Sūrah al-Shūrā*

Fatma Saad AL-Naimi*

## Abstract

This study examines the impact of the interpretive guidance of *mutawātir* Qur'anic readings in shaping the doctrinal discourse within *Sūrah al-Shūrā*, with a particular focus on the nuanced shift in religious discourse between *Makki* and *Madani sūrahs*. In the *Makki sūrahs*, including *Sūrah al-Shūrā*, the Qur'an addresses polytheists who reject the doctrine of monotheism and deny the Prophethood of Muhammad (peace be upon him), necessitating a tone marked by firmness and confrontation. In contrast, the *Madani sūrahs* speak primarily to a believing community and thus adopt a more instructive and composed style. The research aims to elucidate the role of interpretive guidance (*tawjīh*) of Qur'anic readings in constructing the doctrinal

* أستاذة مساعدة في التفسير وعلوم القرآن، قسم القرآن والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، قطر.

* Assistant Professor of Tafsir and Quranic Sciences, Department of the Qur'an and Sunnah, College of Shari'ah and Islamic Studies, Qatar University.

framework of *Sūrah al-Shūrā*, while also exploring the broader influence of such readings across *Makki* and *Madani* contexts. Employing the inductive method to gather variant readings, the descriptive method for classification and presentation, and the analytical method for evaluating their theological implications, the study demonstrates that *Mutawātir* readings significantly contribute to the clarification of subtle meanings in the Qur'anic text. This, in turn, enhances a comprehensive and profound understanding of the doctrinal content, particularly concerning the divine names and attributes. Moreover, the multiplicity of readings reflects the linguistic and semantic inimitability (*iʿjāz*) of the Qur'an, offering diverse yet non-contradictory interpretative dimensions that underscore the uniqueness of the Qur'anic discourse.

**Keywords:** *Tawjīh al-qirāʾāt al-Qurʾāniyyah*, doctrinal discourse, *Sūrah al-Shūrā*.

**Summary of the article**

The study undertakes an in-depth examination of the impact of the canonical Qur'anic readings (*al-Qirāʾāt al-Mutawātirah*) on the exegetical discourse of Muslim *Mufassirūn*. It situates itself within the broader Qur'anic and linguistic sciences, highlighting the epistemic richness and methodological versatility afforded by the variant readings transmitted with *Tawātur*. The study underscores how the multiplicity of recitations, rather than implying textual instability, serves as a hermeneutical tool that deepens *Tafsīr* and expands interpretive possibilities without compromising the integrity of the revealed text.

Building upon a foundational awareness of the principles of *Qirāʾāt* and the criteria of their acceptance, the paper illustrates through detailed analysis how many exegetes—including al-Ṭabarī, al-Rāzī, Ibn ʿĀshūr, al-Shawkānī, and others—integrated Qirāʾāt as a fundamental resource for resolving apparent textual ambiguity, explaining syntactic anomalies, and accounting for semantic plurality. Through a selection of textual instances, the article shows how alternative recitations often uncover latent layers of meaning,

offering the exegete multiple linguistic and theological pathways to interpret divine intent.

The study further highlights the scholarly consensus among the Qur'ānic specialists and muḥaddithūn on the legitimacy of employing the *Mutawātir qirāʾāt* in *Tafsīr*. It also emphasises the necessity of adhering to the established methodology of the classical *Uṣūlīs* in balancing between the transmitted (*Naqlī*) and rational (*ʿAqlī*) approaches. Thus, this paper not only defends the role of Qirāʾāt in exegesis but also posits it as a critical axis upon which the *Tafsīr* tradition has revolved.

The research concludes that the canonical recitations offer more than philological variation—they are, in fact, a living component of the Qur'anic discourse that contributed to the *Tafsīr* literature's complexity, depth, and richness. Through these variant readings, exegetes navigated intricate theological debates, justified grammatical constructions, and preserved the multiplicity of divine speech within the bounds of *Tawqīf* and scholarly rigour.

**المقدمة**

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

سورة الشورى من السور المكية، وعدد آياتها ثلاثة وخمسون. وقد سُمّيت بهذا الاسم لما تضمنته من دعوة إلى اعتماد مبدأ الشورى في إدارة شؤون المسلمين، إعلاءً للحق وإرساءً للعدل. اشتملت السورة على مسائل عديدة تتعلق بالدين وأصول العقيدة، كما تناولت أدلة وبراهين تثبت صحة الرسالة.

افتتحت السورة بالتنويه بشأن القرآن الكريم، مؤكدة أنه وحي من عند الله تعالى، وردّت على افتراءات الكافرين وطعنهم فيه. كما سعت الآيات إلى تسلية النبي ﷺ لما لاقاه من أذى وتكذيب، مبيّنة قدرة الله تعالى الذي أنزل هذا الوحي، ومؤكدة عظمته وسلطانه. تناولت السورة قضية الكفر بالله، على الرغم من وضوح الأدلة والبراهين على صحة الرسالة السماوية، مبيّنة أن الاختلاف في إدراك الحق يعود إلى اتباع الأهواء.

السورة أبرزت قدرة الله تعالى المطلقة في خلقه وتدبيره، وأثبتت وحدة الشرائع السماوية لهداية الناس إلى الحق، مع بيان كفر البعض وظلمهم بإعراضهم عن الحق. تناولت شرك المشركين واستهزاء المكذبين بالقيامة، ودعت إلى الالتزام بأسس الدعوة الصحيحة وعبادة الله وحده، محذرة من الانغماس في الدنيا وسوء عاقبة الجاحدين مقابل حسن حال المؤمنين في الآخرة.

ردّت السورة على افتراءات المكذبين حول مصدر القرآن الكريم بتحديهم بالإتيان بسورة مثله، وأوضحت عدالة الله تعالى في توزيع الرزق وحكمته في ذلك، مع ذكر بركات الغيث وقدرته في الكون. أكدت أن المصائب نتيجة المعاصي، وصوّرت حال المؤمنين والمكذبين في الآخرة داعية إلى طاعة الله تعالى. ختمت السورة بمواساة النبي ﷺ، مبينة حكمة الله في رزق الأبناء وطرائق الوحي

الإلهي، ومؤكدة أن الرسالة الإلهية هي طريق الحق. أما بالنسبة للموضوعات العامة للقرآن المكي، فهي تُعنى بتوضيح أصول العقيدة الإسلامية، كالحديث عن الإيمان بالله عزوجل واليوم الآخر والثواب والعقاب، والدعوة إلى الإسلام والعمل الصالح ومكارم الأخلاق. تتميز هذه السور بالإلحاح على الإيمان بالله وحده وخلق السماوات والأرض، وتركز على القصص والرد على المخالفين، وتأتي في سياق الآمر والمبشّر.

وفي المقابل، جاءت السور المدنية معنية بالتشريعات التي تنظم المجتمع الإسلامي، شاملةً العبادات والمعاملات والعقوبات، فكانت تخاطب المؤمنين بعبارة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا"، لتضع الأسس التي يقوم عليها المجتمع المسلم.

وقد أظهرت القراءات القرآنية المتواترة دورها في توضيح معاني السورة والكشف عن دلالات الآيات، مما يساعد على فهم مراد الله تعالى على نحو أكثر دقة.

**مشكلة البحث**

يحاول البحث الإجابة عن السؤال الرئيس: ما أثر توجيه القراءات القرآنية في بناء الخطاب الديني لسورة الشورى؟ وينبثق عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما أبرز العلل المنبثقة عن أوجه القراءات القرآنية الواردة في السورة الكريمة؟
٢. ما هو الخطاب العقدي المتعلق بالعقيدة في سورة الشورى؟
٣. ما العلاقة بين الخطاب العقدي لسورة الشورى، وتوجيه القراءات القرآنية فيه؟

**أهداف البحث**

يهدف هذا البحث لتحقيق ما يأتي:

١- بيان علل القراءات القرآنية الواردة في سورة الشورى.
٢- دراسة الخطاب العقدي الديني للسورة الكريمة.

٣- الكشف عن أثر توجيه القراءات القرآنية في سورة الشورى في بناء الخطاب الديني للسورة.

**أهمية البحث**

١- تكمن في بيان الاختلاف في القراءات يثري المعاني ويفتح آفاقًا أوسع للفهم، مما يساعد المفسرين في تقديم تفسيرات متنوعة ومتعددة الأبعاد.

٢- تعكس تعدد القراءات الإعجاز البياني للقرآن، حيث تظهر القدرة على التعبير عن الخطاب العقدي بطرق مختلفة، مما يزيد من جمال النص وبلاغته.

٣- يساعد تعدد القراءات في تقديم تفسيرات شاملة ومعمقة، تعزز من فهم الآيات وتوضح مقاصدها، ومعرفة أنواع الخطاب الديني.

**منهج البحث**

المنهج الذي اتبعته في بحثي هو المنهج الاستقرائي؛ حيث أستقرئ القراءات القرآنية المتواترة في سورة الشورى، وتوجيهات أهل العلم لها، والمنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك بوصف الخطاب العقدي في سورة الشورى ومن ثم أقوم بتحليل هذه الخطابات وأفسرها وأربطها بالقراءات القرآنية فيها.

**الدراسات السابقة**

تنوعت الدراسات حول موضوع القراءات القرآنية؛ فمنها التي غطت البعد المتعلق بتعدد المعنى التفسيري، أو تلك التي بحثت عن القراءات المتواترة والقراءات الشاذة في القرآن الكريم. وكذلك الدراسات في الخطابات الدينية؛ ولم أقف على بحث يحمل نفس العنوان.

**التمهيد**

تميزت السور المكية بميزات وخصائص تميزها عن السور المدنية، لاسيما أن سورة الشورى

مكية والخطاب الديني الدعوي في السور المكية يركز بالدرجة الأولى على معالجة قضايا العقيدة وتربية النفوس على الإيمان بالله عز وجل؛ والتأكيد على وحدة المصدر للرسالات، ولذا نجد في السور المكية ذكر الأنبياء السابقين، ووحي الله إلى الأنبياء والرسل جميعا، وذكر اليوم الآخر والبعث والجزاء بعد الموت.

وهي تُركّز على القضايا العقائدية مثل توحيد الله، الإيمان بالرسالة، والبعث. تبدأ السورة بالحروف المقطعة (حم، عسق) كصيغة تحدٍ، ثم تستعرض أدلة عقلية تؤكد وحدة الشريعة والرسالة. تشدد السورة على واجب الدعوة والاستقامة على أمر الله، وتدعو إلى الإيمان بالعقيدة والتأكيد على الأخلاق والشريعة. تم تسمية السورة "الشورى" لتسليط الضوء على مكانة الشورى كركيزة أساسية في بناء المجتمعات الإسلامية. تتمحور السورة حول موضوع الوحي الإلهي ورسالة النبيﷺ، حيث تسعى إلى تصحيح العقيدة وتنقية المفاهيم الدينية. تبدأ السورة بتأكيد أن القرآن وحي من عند الله، مما يعزز الإيمان في النفوس ويعيد الاعتبار للمصدر الإلهي للرسالة. هذا يشير إلى اهتمام السور المكية بتوضيح العقيدة الصحيحة وتثبيتها في قلوب المؤمنين، قبل الانتقال إلى التكاليف الشرعية والواجبات العملية.

سورة الشورى تبرز أهمية الالتزام بالعقيدة الصحيحة كشرط أساسي للتفاعل مع الحياة الدينية والأخلاقية بشكل سليم، مما يساعد على بناء فرد ومجتمع مسلم قادر على تحمل المسؤوليات والقيام بها بما يرضي الله، وهو ما سيكون الحديث عنه في هذا المبحث وفق المطالب الآتية.

**المبحث الأول: أثر القراءات القرآنية في الخطاب العقدي لتقرير مصدر الوحي ومصدر الرسالة**

**المطلب الأول: القراءات القرآنية**

١. قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[1]

قرأ ابن كثير (يُوحَى) بفتح الحاء على التجهيل. وقرأ الباقون (يُوحي) بكسر الحاء على

١- سورة الشورى، الآية: ٣.

التسمية(٢).

أصل الوحي عند الأصفهاني هو الإشارة السريعة، ويشمل الكلام بالرمز أو التعريض، أو الصوت غير المركب، أو الإشارة بالجوارح، أو الكتابة. يُطلق الوحي أيضًا على الكلمة الإلهية الموجهة للأنبياء والأولياء، وتتنوع أنواعه كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾(٣).

تتناول الآية الكريمة مسألة عقدية أساسية كانت محور نقاش ودل بين الكفار والأنبياء عبر التاريخ، وهي مسألة الوحي، حقيقته، مصدره الموحد الذي هو الله سبحانه وتعالى.

"الوحي يأتي إليك وإلى الرسل قبلك بكلمات وألفاظ يفهمها الناس، لكنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثلها. كما يوضح أن الوحي واحد في جوهره، مصدره الله العزيز الحكيم، رغم اختلاف الزمان والرسل. هذا يبرز وحدة الوحي وأصالته، ويشعر المؤمنين بثباته وارتباطهم بمصدره الإلهي"(٤).

صيغة "يُوحَى" المبنية للمفعول تشير إلى أن جملة "اللهُ العَزِيزُ الْحَكِيمُ" توضح الفاعل، وكأن السؤال: من يوحي؟ والإجابة: "الله العزيز الحكيم". وقرأ ابن كثير "يُوحَى" بفتح الحاء استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

٢- انظر: محمد بن محمد الجزري، **النشر في القراءات العشر** (بيروت: دار الكتب العلمية) ج٢، ص٣٦٧.ومحمد بن محمد الجزري، **تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة** (دار الصحابة للتراث، ٢٠٠٤م) ص٢٠٢.

٣- انظر: الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن** (بيروت: الأميرة،٢٠١٠م) ط١، ص٨٥٨.

٤- سيد قطب، **في ظلال القرآن** (القاهرة: بيروت: دار الشروق، ١٤١٢هـ) ط١٧، ج٥، ص ٣١٣٩-٣١٤٠.

ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾(٥)، مما يجعل الجملة توضيحًا للفاعل(٦).

قراءة "يُوحَى" بصيغة المبني للمجهول تؤكد وحدانية الوحي ومصدره الإلهي، ردًا على الشكوك حول صحة الوحي وهوية الموحي. فجاء الرد بـ"اللهُ العَزِيزُ الْحَكِيمُ"، كما أوضح البقاعي. قراءة ابن كثير تدعم التركيز على النبي ﷺ كرسول حقيقي، مع إبراز مدلول الوحي دون دلالة على الاستقبال، مما يجعل الضمير في "كذلك" يعود على الموحي في قراءة ابن كثير(٧).

وأما قراءة (يُوحِى) بكسر الحاء بصيغة المبني للفاعل، فتسند الفعل مباشرة إلى الله تعالى، فيكون "الفاعل (الله) و(العَزِيزُ الحَكِيمُ) نعتان، والكاف منصوبة المحل إما نعتا لمصدر، أو حالًا من ضمير، أي: إيحاءً ..."(٨)، تؤكد القراءتان وحدة الرسالة الإلهية وترد على شك الكفار حول مصدر القرآن. في قراءة المبني للمجهول (ابن كثير)، يُوقف عند "قبلك" ثم يبدأ بـ "الله العزيز الحكيم"، للإشارة إلى أن الوحي للنبي ﷺ مشابه لما أوحي للأنبياء قبله. أما في قراءة المبني للفاعل، فيُوقف عند "الحكيم"، حيث الفاعل هو الله، مما يبرز التوافق بين رسالة النبي والرسائل السابقة، ويؤكد أن القرآن يتسق مع الوحي الإلهي عبر الأنبياء(٩). وتؤكد الآية وحدة الوحي ومصدره، فالله العزيز

---

٥- سورة الزمر، الآية: ٦٥.

٦- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ) ط١، ج٤، ص ١٠٦.

٧- أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ) ج٦، ص ٥٧٩.

٨- أبو حفص سراج الدين ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ) ط١، ج١٧، ص١٦٢.

٩- مكي بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات السبع**، تحقيق: محي الدين رمضان (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م) ط٥، ج٢، ص٢٥٠.

الحكيم هو الموحي، والرسل عبر العصور هم الموحى إليهم، وجوهر الوحي واحد رغم اختلاف الأزمنة والرسل(١٠).

يتبين لنا من ذلك طبيعة اعتراضات الكفار، حيث لم يقتصر إنكارهم على مصدر القرآن الكريم فقط، بل امتد ليشمل التشكيك في حقيقة الوحي ومنزله، وهو الله تعالى. لذا، جاءت القراءتان لترد على هؤلاء المشككين والمجادلين، مؤكدةً حقيقة الوحي، وثبات الرسالة، وأن القرآن منزل من عند الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١١).

قرأ نافع والكسائي (يَكادُ) بالياء على التذكير. وقرأ الباقون (تكاد) بالتاء على التأنيث(١٢). وقرأ أبو عمرو، وشعبة، ويعقوب (ينفطرْنَ) بالنون والتخفيف. وقرأ الباقون (يَتَفَطَّرْن) بالتاء والتشديد(١٣).

تصور الآية غضب المخلوقات من فظاعة ما ينسبه المشركون إلى الله، كادعاء أن له ولدًا أو أن الملائكة بناته، فتوشك السماوات أن تتشقق. في المقابل، تُنزه الملائكة الله وتستغفر لأهل الأرض، داعية للكافرين بالهداية وللمؤمنين بالمغفرة. قال ابن زنجلة: قرأ نافع والكسائي "يكادُ السماوات"

---

١٠- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص ٣١٣٩.

١١- سورة الشورى، الآية: ٥.

١٢- انظر: شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، وضع حواشيه: الشيخ أنس مهرة (دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م) ص٤٩١. مكي بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات السبع**، ج٢، ص٢٥٠.

١٣- انظر: محمد حبش، **الشامل في القراءات المتواترة** (بيروت: دار الكلم الطيب، ٢٠٠١م) ط١، ص٢٥١. الدمياطي، **إتحاف فضلاء البشر**، ص٤٩١.

بالياء لأن "السماوات" جمع قليل، ويذكر العرب فعل المؤنث مع الجمع القليل(١٤). وقيل إن قراءة "تكاد" بالتذكير والتأنيث تعود إلى أن "السماوات" مؤنث غير حقيقي، فالتذكير يُناسب كونه غير حقيقي، بينما التأنيث يعتمد على لفظ الكلمة(١٥). لذلك، يجوز في اللغة العربية تذكير فعل المؤنث إذا كان العدد قليلًا، واستخدام التأنيث إذا كان العدد كبيرًا.

تشير قراءة "ينفطرْنَ" بالنون والتخفيف إلى أن السماوات تكاد تنشق غضبًا من شناعة قول المشركين بادعائهم وجود شريك أو ولد لله تعالى. أما قراءة "يتفطرن" فتُضيف معنى المبالغة والتكرار في التشقق، وكأن السماوات تتصدع مرارًا وتكرارًا استنكارًا لعظم ادعاء المشركين بأن لله ولدًا. ذكر مكي بن أبي طالب أن حجة من قرأ بالتاء مشددًا هي اعتباره مضارعًا لفعل "فطَّر" الذي يدل على التكثير، وهو الأنسب في هذا السياق لما فيه من مبالغة واستعظام لقولهم: "إن لله ولدًا"(١٦). وأوضح ابن زنجلة أن قراءة "يتفطرن" بالتاء تعني "يتشققن"، مشيرًا إلى أن التاء والنون تحملان معنى واحدًا، لكن التاء تدل على التكثير. فالفرق أن "ينفطرن" مشتقة من "فطر" بمعنى انفطرت (كقولنا: كُسِرت فانكسرت)، بينما "يتفطرن" مشتقة من "فطر" بمعنى تفطرت (كقولنا: كَسَرت فتكسرت)، والتكثير يتناسب مع هذا السياق(١٧).

وقال البقاعي: "قراءة (يَتَفَطَّرْنَ) تعني التشقق والانفطار، ففي قراءة من قرأ بالنون والتخفيف يكون الانفطار عامًا، بينما في قراءة الباقين بالتاء المثناة مع تشديد الطاء، يكون التفطر

---

١٤- انظر: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد ابن زنجلة، **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م) ط٥، ص٦٤٠.

١٥- انظر: مكي بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات السبع**، ج٢، ص ٢٥٠.

١٦- انظر: المصدر السابق، ج٢، ص٩٣.

١٧- انظر: ابن زنجلة، **حجة القراءات**، ص٦٤٠.

شديدًا"(١٨).

تشترك القراءتان في تصوير مشهد مؤثر يبرز الأثر العظيم الذي تتركه هذه الأقوال البغيضة. فالجاهلون يظنونها هينة، لكنها عند الله عظيمة. من شدة فظاعتها وكفرها، تتحرك المخلوقات، بدءًا بالسماوات العظيمة الراسخة، فتوشك أن تتصدع وتتشقق مرارًا استنكارًا وغضبًا وخضوعًا لسلطان الله وتعظيمًا له.

أما الملائكة، فيعظمون الله بتنزيهه عن كل نقص وإثبات الكمال له وحده، مقرونين بالتسبيح والحمد. وتعظيمهم لله وتنزيههم ينبعان من إدراكهم التام لعظمته وجلاله. كما أنهم يستغفرون لأهل الأرض، خشيةً عليهم من غضب الله وجبروته، داعين للكافرين بالهداية وللمؤمنين بالمغفرة(١٩).

**المطلب الثاني: الخطاب العقدي لتقرير مصدر الوحي ومصدر الرسالة**

تبدأ السورة بتأكيد أن الله رب العالمين هو مصدر الوحي والرسالة، وأنه اختار الأنبياء لنقل رسالته بهدف هداية البشر من الشرك إلى الإيمان. كما تبدأ السورة بالحروف المقطعة (حم عسق)، التي تدل على إعجاز القرآن، وتنبه إلى عجز البشر عن معارضته رغم أنه مكون من الحروف نفسها التي يستخدمونها(٢٠).

---

١٨- البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٦، ص٥٩٨.

١٩- انظر: عبد الحق بن غالب ابن عطية، **المحرر الوجيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م) ج٥، ص٢٦. ومحمود الألوسي، **روح المعاني** (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ج٢٥، ص١٢.

٢٠- أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ١٤١٩هـ) ط١، ج١، ص٧١.

ثم يأتي قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾(٢١)، أي: كما أوحى الله إليك يا محمد بهذا القرآن، أوحى إلى الأنبياء الذين قبلك بالكتب السماوية. وتبرز عظمة الله تعالى، حيث أن السماوات تكاد تتفجر من جلاله، ويعظم ما يقوله المشركون من نسبة الولد إليه. كما أن الملائكة يسبحون الله بلا انقطاع، ويبرّئونه من كل نقص، ويستغفرون للمؤمنين في الأرض(٢٢).

والآية عموم يراد به الخصوص، لأن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض(٢٣)، يقول صاحب **الظلال**: رغم أن الملائكة في حالة طاعة مطلقة، فإنهم دائمًا في تسبيح لله، إدراكًا لعظمته وخشية من التقصير في حقه. وفي الوقت نفسه، يستغفرون لأهل الأرض خوفًا من غضب الله بسبب معاصيهم. قد يكون استغفارهم موجهًا للمؤمنين، كما في قوله تعالى في سورة غافر: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾(٢٤)، مما يظهر مدى خشيتهم من المعاصي، حتى تلك التي قد تصدر من المؤمنين، وحرصهم على طلب المغفرة لهم، رغبة في رحمة الله وعطفه(٢٥).

تنبهوا أيها الناس، إن الله هو الغفور الذي يغفر ذنوب عباده، الرحيم بهم، إذ لا يعاجلهم بالعقوبة رغم كفرهم وعصيانهم.

---

٢١- سورة الشورى، الآية: ٣.

٢٢- محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير** (القاهر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ) ط١، ج٢، ص٢٠٧.

٢٣- محمد بن أحمد ابن الجزري، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ) ط١، ج٢، ص٢٤٤.

٢٤- سورة غافر، الآية: ٧.

٢٥- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص ٣١٤١.

يقول القرطبي: "هيَّب الله وعظَّم في البداية، ثم ألطف وبشَّر في النهاية"(٢٦).

أما الذين اتخذوا له شركاء وأندادًا، فإن الله مطلع على أحوالهم وأعمالهم، لا يغيب عنه شيء منها، وسيحاسبهم عليها. وأما أنت يا محمد، فلست موكلًا بإجبارهم على الإيمان، وإنما دورك هو الإنذار والتبليغ فحسب(٢٧).

**المبحث الثاني: أثر القراءات القرآنية في الخطاب العقدي لبيان الوحي وأقسامه**

**المطلب الأول: القراءات القرآنية**

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾(٢٨).

قرأ نافع (أو يُرْسِلُ - فَيوحِيْ) بضم اللام، وإسكان الياء. وقرأ الباقون (أَوْ يُرْسِلَ - فَيُوحِيَ) بفتح اللام والياء(٢٩).

تشير هذه الآية الكريمة إلى مراتب الوحي وأساليبه التي يكلم بها الله عز وجل أنبياءه ورسله. وقد أوضح الطبري في تفسيره أن الله سبحانه لا يكلم بشرًا من بني آدم إلا بإحدى ثلاث طرق: وحي مباشر: وهو ما يوحيه الله إلى النبي بإلهام أو بأي وسيلة يشاء. من وراء حجاب: حيث يسمع النبي كلام الله دون أن يراه، كما حدث مع النبي موسى عليه السلام. إرسال رسول: أي أن

---

٢٦- محمد بن أحمد القرطبي، الجامع **لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري (الرياض: دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م) ج١٦، ص٥.

٢٧- الصابوني، **صفوة التفاسير**، ج٣، ص١٢٣.

٢٨- سورة الشورى، الآية: ٥١.

٢٩- انظر: ابن مهران، أبو بكر بن الحسين، **المبسوط في القراءات العشر** (طنطا: دار الصحابة للتراث، ٢٠٠٣م) ص٢٤٢. والجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص٣٦٨. والجزري، **تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة**، ص٢٠٢.

يرسل الله ملكًا، مثل جبريل عليه السلام أو غيره، ليبلغ النبي ما يشاء الله من أمر أو نهي أو وحي(٣٠).

القراءتان في قوله تعالى: (أو يرسل رسولاً فيوحي) تعكسان علاقة نحوية مع اتفاق في المعنى مع اتفاقهما في المعنى العام. وقد تناول العلماء هذه العلاقة بالتفصيل على النحو الآتي: قراءة النصب: يرى ابن خالويه أن النصب جاء عطفًا على المصدر المفهوم من قوله (إلا وحيًا)، حيث أن المعنى: إلا أن يوحي أو يرسل رسولًا. وبذلك، يتصل الفعلان (يرسل) و (فيوحي) بما قبلهما، مما يؤكد أن الرسالة والإيحاء كلاهما من أنواع التكليم الإلهي. أما قراءة الرفع: أشار ابن خالويه ومكي إلى أن الرفع يُفهم على الاستئناف، حيث يكون الفعل (يرسل) مبتدأً تقديره: "أو هو يرسل رسولًا"(٣١).

أشار مكي بن أبي طالب إلى أن النصب يتوافق مع عطف الفعل (يرسل) على المصدر (وحيًا)، مبينًا أن هذا التفسير يمنع أي احتمال لنفي الرسالة أو إرسال الرسل، يمكن أيضًا تفسير الرفع على أنه حالية، بمعنى أن تكليم الله للبشر يتم في حالات مثل الإيحاء أو الإرسال(٣٢).

الزمخشري وأبو حيان فسّرا الرفع على أنه استئناف يقطع الفعل (يرسل) عن المصدر (وحيًا)، مما يجعل كل نوع من أنواع التكليم مستقلًا بذاته، مع بقاء الرسالة من ضمن أقسام التكليم(٣٣).

---

٣٠- انظر: محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان في تفسير القرآن** (بيروت: دار المعرفة،١٩٧٢م) ج٢٥، ص٢٨.

٣١- الحسين بن أحمد ابن خالويه، **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم (بيروت: مؤسسة الرسالة،١٤١٧) ط٦، ص٣١٩.

٣٢- انظر: مكي بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات السبع**، ج٢، ص٢٥٤.

٣٣- انظر: جار الله، محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف** (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٤٧م) ج٣، ص٤٧٥؛ أبو حيان، **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٢٢هـ)، ط١، ج٧، ص ٥٠٤[بتصرف].

كلتا القراءتين تؤكد أن الأنواع الثلاثة المذكورة في الآية، أي أن تكليم الله لعباده محصور في ثلاث طرق: الإيحاء، إسماع الكلام من وراء حجاب، وإرسال الرسل.

فقراءة النصب: تبرز العلاقة الوثيقة بين الرسالة والوحي، مما يمنع أي لبس قد يوحي بأن الرسالة ليست نوعًا من أنواع التكليم . وقراءة الرفع: قد توحي بتقسيم أنواع التكليم إلى أقسام منفصلة، لكنها تظل تُدرج الرسالة ضمن التكليم العام.

أشار ابن عطية إلى أن الآية تدل بوضوح على أن الرسالة نوع من أنواع التكليم، مما يعني أن من حلف ألا يُكلّم إنسانًا ثم أرسل إليه رسالة، فإنه يكون حانثًا في يمينه(٣٤).

أكّد أبو حيان والزمخشري أن كلا القراءتين تُظهر أن التكليم الإلهي يتم بطرق متعددة، سواء بوحي مباشر، أو سماعٍ من وراء حجاب، أو بإرسال رسول يبلغ الوحي.

فالقراءتان تتكاملان في بيان حصر أنواع تكليم الله لأنبيائه ورسله، مع توضيح أن الرسالة هي إحدى صور هذا التكليم، سواء تم استئنافها أو عطفها على الإيحاء(٣٥).

**المطلب الثاني: الخطاب العقدي لبيان الوحي وأقسامه**

تختم السورة بالكلام عن الوحي والقرآن كما بدأت به، مما يعكس التناغم بين البدء والختام. ذكر الله تعالى أن تكليمه للبشر كان على ثلاثة أوجه: أولها الوحي بالقلب، سواء بالإلهام أو الرؤيا، ثم الإسماع من وراء حجاب، كما حدث مع موسى عليه السلام، حيث سمع كلام الله دون أن يراه، وأخيرًا إرسال ملك ليبلغ النبي بالوحي. وقد ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ شرح كيفية نزول الوحي، إذ يأتي أحيانًا كصوت يشبه صلصلة الجرس أو في صورة رجل

---

٣٤- انظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٥، ص٢٦.

٣٥- انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٣، ص٤٧٥؛ أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٧، ص ٥٠٤[بتصرف].

يكلمه، حتى يعي ما يُقال له"(٣٦).

كما أوحينا إلى الرسل قبلك، أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن، وسُمي روحًا لأنه يحيي النفوس من موت الجهل. وكان مالك بن دينار يقول: "يا أهل القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟" لأنه ربيع القلوب كما أن الغيث ربيع الأرض. لم تكن تعرف يا محمد قبل الوحي ما هو القرآن ولا تفاصيل شرائع الإيمان، لكننا جعلناه نورًا تهتدي به قلوب المتقين. أنت يا محمد ترشد إلى دين قيم مستقيم، هو الإسلام، دين الله الذي يملك كل شيء في الكون. إلى الله وحده تُرجع الأمور، فيفصل بين خلقه بعدله وحكمته(٣٧).

## المبحث الثالث: أثر القراءات القرآنية في الخطاب العقدي للرسل والرسالات واليوم الآخر والجزاء للمؤمنين والظالمين

### المطلب الأول: القراءات القرآنية

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(٣٨).

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة والكسائي (يَبْشُرُ) بفتح الياء وإسكان البـــاء، وضم الشين مخففة. وقرأ الباقون (يُبَشِّرُ) بضم الياء وفتح الباء، وكسر الشين مشددة(٣٩) يُحتمل أن يكون

---

٣٦- محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ١٤٠٧هـ) ط٣، ج١، ص٤، رقم الحديث: ٢.

٣٧- الصابوني، **صفوة التفاسير**، ج٣، ص١٣٦.

٣٨- سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٣٩- انظر: الدمياطي، **إتحاف فضلاء البشر**، ص٤٩٢. محمد سالم ابن محيسن، **المستنير في تخريج القراءات المتواترة** (بيروت: دار الجيل،١٤٠٩هـ) ط١، ج٣، ص٥٢.

التشديد في الكلمة للإشارة إلى بشارات البُشَراء، بينما يُفهم التخفيف على أنه يعبر عن وجه الإفراح والسرور.

ذكر الطبري في تفسيره: يقول الله تعالى مخاطبًا الناس: هذا الذي أخبرتكم به، أيها الناس، هو ما أعددته للذين آمنوا وعملوا الصالحات في الآخرة من النعيم والتكريم. وهذه البشرى هي ما يبشر الله به عباده المؤمنين في الدنيا، الذين يعملون بطاعته.

أما قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾(٤٠)، فيعني: يا محمد، أخبرهم أنك لا تطلب منهم أجرًا على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة، لا من مال ولا غيره، وإنما تطلب منهم أن يحفظوا حق القرابة ولا يؤذوك حتى تتمكن من أداء رسالة ربك (٤١).

فسر ابن كثير أن الآية تطلب من كفار قريش الكف عن إيذاء النبي ﷺ بسبب روابط القرابة، ليبلغ دعوة ربه بسلام. وقوله: ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًا﴾ يشير إلى مضاعفة ثواب الطاعات. أما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾، فتؤكد كثرة مغفرته للذنوب وشكره للطائعين دون ضياع لعمل(٤٢).

تشير الآية إلى عظيم فضل الله ونعيمه للمؤمنين المتقين، مبشرةً لهم لتزيد شوقهم إلى لقائه وتحفزهم على الإخلاص والاجتهاد. قراءة "يبشر" بالتخفيف تعني بشارة عامة، بينما "يبشر" بالتشديد تدل على كثرة وتكرار البشارة، كما أوضح البقاعي(٤٣).

ويرى قراءة (يَبْشُرُ) بالتخفيف تعني أن الله تعالى ينير وجوه المؤمنين أو ينضرها، فتظهر

---

٤٠- سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٤١- انظر: الطبري، **جامع البيان في تفسير القرآن**، ج٢٥، ص١٥.

٤٢- انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص١١٤.

٤٣- انظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج٦، ص٦٦٣.

عليها آثار النعمة والسرور(٤٤).

بناءً على هذا التفسير، فإن معنى الآية يشير إلى أن الله تعالى يبشر المؤمنين بما أعد لهم في الآخرة، ليس فقط لإسعادهم في الدنيا، بل أيضًا لينير وجوههم ويظهر عليها النضرة، وهو نعيم دنيوي يُضاف إلى نعيم الآخرة.

أما قراءة (يُبَشِّرُ) بالتشديد، فقد حملت دلالة على التكثير والاستمرارية في البشرى، إذ تشير إلى أن الله تعالى يوسع بشارته للمؤمنين ويجددها باستمرار كلما زادوا في الطاعات والعمل الصالح. في البداية، تكون البشارة عامة، ثم تزداد مع كل عمل صالح يقوم به المؤمن، مما يجعل البشرى متنامية بقدر ازدياد الإخلاص والطاعة(٤٥).

يتضح بين القراءتين يبشر الله المؤمنين ببشارات عامة تشمل الجميع، لتملأ نفوسهم فرحًا وتنير وجوههم، وبشارات متجددة تزداد مع ازدياد الطاعات. تهدف هذه البشارات لتحفيزهم على الإخلاص والطاعة وتعميق شوقهم إلى لقاء الله.

١. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾(٤٦)،

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص (تفعلون) بالخطاب. وقرأ الباقون (يَفْعَلُون) بالغيب(٤٧).

تُبرز الآية رحمة الله وسعة فضله، إذ يقبل توبة عباده إذا ندموا وعزموا على عدم العودة للذنوب، ويعفو عن السيئات وفق مشيئته. أوضح الشوكاني أن التوبة مقبولة من المسلمين والكفار

---

٤٤- انظر: ابن زنجلة، **حجة القراءات**، ص٦٤١.

٤٥- ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج١٧، ص ١٨٧.

٤٦- سورة الشورى، الآية: ٢٥.

٤٧- انظر: الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص٣٦٧. الجزري، **تحبير التيسير**، ص٢٠٢.

إذا كانت خالصة وصحيحة، ويغفر الله الذنوب لمن تاب، مجازيًا كل نفس بما تستحق(٤٨).

ويرى أن بين القراءتين بعدًا بلاغيًا، من خلال استخدام أسلوب الالتفات بين الخطاب والغَيبة. بناءً على ذلك، يكون المخاطب في كلتا القراءتين هم المشركون، وتتضمن الآية تهديدًا ووعيدًا لهم. وقد اعتُبرت قراءة (تفعلون) بتاء الخطاب أشد تأثيرًا في التهديد والتخويف، لأنها تُوجّه التهديد مباشرة إليهم، مما يزيد من قوته ووضوحه(٤٩).

قال ابن عاشور: "قرأ الجمهور (ما يفعلون) بياء الغيبة، أي ما يفعل عباده، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف بالتاء على طريقة الالتفات"(٥٠). وأوضح البقاعي: "قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب بالخطاب لزيادة البلاغة في التخويف، بينما قرأ الباقون بالغيبة انسجامًا مع السياق، مما يبرز علم الله الشامل وحلمه"(٥١).

رأى البعض أن قراءة "يفعلون" بالياء تشير إلى علم الله بأفعال المشركين فقط، بينما قراءة "تفعلون" بالتاء تشمل جميع العباد، مشركين وغيرهم، وتعبر عن شمولية علم الله. كما أوضح أبو الحسن الفارسي أن قراءة التاء أعم شمولًا، بينما قراءة الياء تختص بالإخبار عن أفعال العباد(٥٢).

تظهر القراءتان أن الخطاب يشمل الجميع، مؤمنين وعصاة وكفارًا. في حق الكفار

---

٤٨- انظر: محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، تحقيق: سيد إبراهيم (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٧م) ط٣، ج٤، ص٧٥٠.

٤٩- انظر: ابن زنجلة، **حجة القراءات**، ص٦٤١.

٥٠- محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير** (تونس: الدار التونسية للنشر) ج٢٥، ص٩٠، الألوسي، **روح المعاني**، ج٢٦، ص٣٦.

٥١- البقاعي، **نظم الدرر**، ج٦، ص٦٢٨.

٥٢- أبو على الحسن الفارسي، **الحجة للقراء السبعة**، وضع حاشيته: كامل مصطفى الهنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٢١هـ) ط١، ج٣، ص ٣٦٢.

والعصاة، تحمل الآية تهديدًا ووعيدًا، مع الإخبار بصيغة الغيبة لتحقيرهم. أما في حق المؤمنين، فهي تحذير من المعاصي وتشجيع على الإكثار من الطاعات والابتعاد عن أفعال العصاة، لتأكيد الالتزام بالهداية.

**المطلب الثاني: الخطاب العقدي للرسل والرسالات واليوم الآخر والجزاء للمؤمنين والظالمين**

كما أوحى الله إلى الرسل من قبلك يا محمد، أوحى إليك هذا القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾(٥٣). والذي أوحى هو الله العزيز الحكيم، مالك الكون والمتعالي على خلقه، المنفرد بالكبرياء والعظمة.

بعد أن بيَّن الله لطفه وإحسانه، حثَّ الإنسان على السعي للخير بقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦ﴾(٥٤). فالأعمال تُجازى بمقاصدها؛ من عمل للآخرة، ضوعفت له حسناته، ومن عمل للدنيا أعطي نصيبه منها فقط، دون نصيب في الآخرة.

قال الزمخشري: "سمى العمل حرثًا مجازًا، وميز بينهما بأن حرث الآخرة مضاعف الأجر، بينما حرث الدنيا محدود العطاء"(٥٥).

وقال ابن جزي: حرث الآخرة عبارة عن العمل لها، وكذلك حرث الدنيا، وهو مستعار من حرث الأرض، لأن الحراث يعمل وينتظر المنفعة بما عمل(٥٦).

ثم بدأ الله ينكر على الكفار عبادتهم لغيره، مع أنه هو الخالق المتفضل على العباد. فتساءل

---

٥٣- سورة النساء، الآية: ١٦٣

٥٤- سورة الشورى، الآية: ٢٠.

٥٥- الزمخشري، **الكشاف**، ج٤ ص٢١٨.

٥٦- ابن الجزري، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج٢، ص٢٤٧.

على سبيل الاستفهام للتقرير والتوبيخ: أهؤلاء الكفار شركاء من الشياطين أو آلهة من الأوثان، شرعوا لهم الشرك والعصيان الذي لم يأمر به الله؟.

الآية الكريمة تنكر عليهم شركهم بأبلغ أسلوب وتؤنبهم على جهلهم، إذ أشركوا بالله دون أن يكون لديهم دليل أو ما يشبه الدليل على صحة ما وقعوا فيه من باطل.

وإسناد الشرع إلى الأوثان، وهي جمادات، هو إسناد مجازي، حيث يُنسب الفعل إلى سببه، ويسمى "دينًا" على سبيل المشاكلة والتهكم"(٥٧).

لولا حكم الله المسبق بأن الثواب والعقاب يكونان يوم القيامة، لكان قد حكم بين الكفار والمؤمنين بعقوبة الظالمين وإثابة المؤمنين على الفور. أما الكافرون الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان، فسيعانون عذابًا شديدًا في الآخرة، في حين أن المؤمنين الصالحين يتمتعون بنعيم الجنة، في أعلى منازلها، مع جزاء لا يوصف(٥٨).

الفارق بين من يعيش في الذل والهوان ومن يعيش في جنات النعيم لا يُقاس. لهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾(٥٩) هذا هو النعيم الأكبر الذي لا يُمكن تصوره أو قياسه، وهو فوز لا يُضاهيه شيء(٦٠).

قال ابن كثير: لا أسألكم مالًا مقابل تبليغي، بل أطلب منكم أن تحفظوا حق القرابة وتجنبوني الأذى. وقال ابن عباس: أي أن تصلوا رحمكم وتودوني بسبب قرابتي منكم. من يكتسب طاعة لله يضاعف له أجرها، والله سبحانه غفور للذنوب وشاكر لإحسان المحسنين. لا يضيع عنده

---

٥٧- شهاب الدين الخفاجي، **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي** (بيروت: دار صادر) ج٧، ص ٤١٦.

٥٨- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٦، ص٢٠. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ص ١٨٢.

٥٩- سورة فاطر، الآية: ٣٢.

٦٠- الصابوني، **صفوة التفاسير**، ج٣، ص١٢٩.

عمل العامل، بل يغفر الكثير من السيئات ويضاعف القليل من الحسنات. ثم ينتقل السياق لتوبيخ المشركين على إصرارهم على كفرهم، حيث يزعم كفار قريش أن محمدًا اختلق الكذب على الله ونسب القرآن إليه(٦١).

قال أبو حيان: "هذا استفهام توبيخي، لأنهم كانوا يعترفون بصدق محمد وأمانته، فكيف ينسبونه للكذب على الله؟".

لو كان قد افترى على الله الكذب، كما زعموا، لكان قد ختم الله على قلبه وسلبه القرآن، ولكن الله أيده وأعانه لأنه لم يفترِ عليه. كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾(٦٢).

هذه الآية تثبت بطلان ادعائهم، حيث أن الله لو أراد لَمحا الباطل، ولكن الحق ثابت في كلامه. ثم يذكر الله فضله على عباده بقبول التوبة من الذين أقلعوا عن المعاصي، وتابوا بصدق، ويغفر لهم صغيرها وكبيرها. ويستجيب دعاء المؤمنين ويزيدهم من فضله. أما الكافرون فمصيرهم إلى عذاب أليم في الجحيم (٦٣).

**المبحث الرابع: أثر القراءات القرآنية في الخطاب العقدي لمظاهر حكمة الله وآيات قدرته:**

**المطلب الأول: القراءات القرآنية**

١. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ

٦١- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ص ١٨٣.

٦٢- سورة الحاقة، الآية: ٤٤. أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج٩، ص٣٣٥.

٦٣- انظر: الصابوني، **صفوة التفاسير**، ج٣، ص١٢٩. أبو السعود محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم** (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ج٨، ص٣١. محمد بن عمر الرازي، **مفاتيح الغيب** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ) ط٣، ج٢٧، ص ٥٩٣.

خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾(٦٤).

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب (يُنْزِلُ) بالتخفيف. وقرأ الباقون (يُنَزِّلُ) بالتشديد(٦٥).

يُفسر النزول في **لسان العرب** بأنه الحلول أو الانحدار من الأعلى إلى الأسفل. ويُلاحظ أن "نزله" و"أنزله" تُستخدمان بمعنى مشابه، مع وجود اختلاف في الصياغة للدلالة على التكثير(٦٦). النزول يعني الانتقال من مكان مرتفع إلى مكان منخفض. يُقال: نزل عن دابته، أي ترجل عنها، أو نزل في مكان معين، أي أقام فيه (٦٧).

تشير الآية إلى توحيد الله ورحمته بعباده، مبيّنة قدرته على نزول الغيث رزقًا للناس وأنعامهم. قراءة "يُنزل" بالتخفيف تشير إلى نزول الغيث دفعة واحدة مع احتمالية الزيادة، بينما قراءة "يُنزل" بالتشديد تدل على نزوله بشكل متكرر ومستمر، مما يعكس تنوع الرزق ووفرة النعم(٦٨).

من خلال ذلك يتبين أن قراءة "يُنزل" بالتخفيف تشير إلى نزول الرزق دون تحديد طبيعته، بينما قراءة "يُنزل" بالتشديد تضيف معنى الاستمرارية والكثرة والتنوع في النعمة، مما يبرز كمال عطاء الله. كما تعكس قراءة التشديد تكرار نزول الغيث وتنوع أشكال الرزق، سواء كان من المطر أو مصادر أخرى كالعمل والتجارة.

٢. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ

---

٦٤- سورة الشورى، الآية: ٢٧.

٦٥- حبش، **الشامل في القراءات المتواترة**، ص٢٥١.

٦٦- ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١، ص: ٦٥٦.

٦٧- الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص: ٨٥٨.

٦٨- انظر: فاضل صالح السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني** (القاهرة: شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ) ط٢، ص ٦٠.

ٱلْحَمِيدُ ﴾(٦٩).

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ويعقوب وخلف (يُنْزِل) بالتخفيف. وقرأ الباقون (يُنزل) بالتشديد(٧٠).

تُبرز الآية فضل الله ورحمته بعباده، حيث ينزل المطر النافع بعد اليأس، مما يدفعهم إلى شكره وتعظيمه. الطبرسي يوضح أن الغيث هو المطر النافع في وقته المناسب، ويُظهر تأثيره العميق في نفوس العباد. كما يشير إلى أن الله يبسط رحمته بإخراج النبات والثمار، وهو الولي الحميد المدبر لأمور عباده(٧١).

تشير قراءة "يُنزل" بالتخفيف إلى نزول المطر مرة واحدة مع احتمالية التكرار، رحمةً بالعباد بعد يأسهم. أما قراءة "يُنَزِّل" بالتشديد، فتعبر عن نزول المطر بشكل متكرر ودائم، مما يبرز أهمية الغيث وتكراره في وقت الحاجة. تُوضّح قراءة التشديد استمرارية وكثرة النعمة، مما يعزز شكر الله على فضله(٧٢).

٣. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾(٧٣).

قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر (بِمَا كَسَبت) بغير فاء. وقرأ الباقون (فَبِمَا كَسَبَت) بالفاء(٧٤).

---

٦٩- سورة الشورى، الآية: ٢٨.

٧٠- انظر: الدمياطي، **إتحاف فضلاء البشر**، ص٤٩٢.

٧١ - انظر: الفضل بن الحسن الطبرسي، **مجمع البيان** (بيروت: دار مكتبة الحياة) ج٢٤، ص ٥٤.

٧٢- انظر: السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، ص ٦٠-٦١.

٧٣- سورة الشورى، الآية: ٢٨.

٧٤ - انظر: ابن مهران، **المبسوط في القراءات العشر**، ص٢٤٣، الجزري، **تحبير التيسير**، ص٢٠٢.

الآية تذكّر بأن المصائب التي تصيب الناس من أمراض أو مصاعب هي نتيجة لأعمالهم وذنوبهم، لكن الله برحمته وعفوه يتجاوز عن كثير منها. تنقسم الذنوب إلى نوعين: أحدهما يُعاقب عليه في الدنيا كابتلاء لتطهير العبد، والآخر يُترك عقابه للآخرة. من رحمة الله أن الابتلاءات قد تكفر الذنوب أو تزيد الأجر، رغم قدرته على العقاب(٧٥).

تُبيّن قراءة "بما كسبت" أن المصائب التي تصيب الناس إنما تقع بسبب أفعالهم وأعمالهم، ولكنها تُفهم على سبيل العموم والجواز دون تخصيص مباشر لسبب محدد. هنا، كلمة "ما" في الآية تأتي بمعنى الموصولية، حيث تكون مبتدأً، وخبرها هو "بما كسبت أيديكم". ولا تحمل هذه القراءة دلالة الشرط، بل تشير إلى أن ما وقع من مصائب كان نتيجة لما كسبته أيديهم، دون الإشارة إلى التسبب المباشر(٧٦).

قال أبو علي الحسن الفارسي: "إذا أُثبتت الفاء، فإنها تدل على أن الأمر الثاني وقع بسبب الأول". على سبيل المثال، قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾(٧٧)، ثم قوله: ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾(٧٨) يدل على أن استحقاق الأجر مرتبط بالإنفاق. أما إذا لم تُذكر الفاء، فيبقى المعنى محتملا؛ قد يكون الثاني ناتجًا عن الأول، أو ناتجًا عن سبب آخر.

أما قراءة "فبما كسبت" فتُضيف عنصر التعين، حيث تشير إلى أن المصائب تقع تحديدًا بسبب ما كسبته أيدي الناس. في هذه القراءة، تكون "ما" شرطية أو تحمل معنى الشرط، والفاء تأتي رابطة لجواب الشرط. كما أن الفعل في هذه الحالة ماضٍ للدلالة على تحقق الوقوع، ويصبح معنى

---

٧٥ - انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٨، ص٣٥٢.

٧٦- انظر: ابن زنجلة، **حجة القراءات**، ص٦٦٢. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص٩٩.

٧٧- سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.

٧٨- سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.

الآية: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾(٧٩).

أوضح الثعالبي أن وجود الفاء في قراءة "فبما" يُظهر التلازم بين كسب الأيدي والمصائب، أي أنه لولا تلك الأفعال لما وقعت المصائب. أما مع حذف الفاء، فيجوز أن يبقى المعنى متلازمًا أو خاليًا من هذا الربط(٨٠).

وأكد البقاعي أن إثبات الفاء في قراءة "فبما" يعزز دلالة السببية، إذ تصبح العبارة أكثر وضوحًا في بيان أن المصيبة ترتبت على ما كسبته أيدي الناس(٨١).

القراءتان تتفقان في المعنى الأساسي بأن المصائب نتيجة لأعمال الناس، لكن قراءة "فبما" تحدد السبب بشكل أكثر دقة، حيث تظهر التسبب الواضح. أما قراءة "بما"، فهي أقل تحديدًا، إذ قد تشير إلى معنى عام أو خاص حسب السياق(٨٢).

من حيث دلالة الآيتين، فإن الأصل في القراءات الصحيحة أن تتحد في المعاني الأساسية. وتبقى الآية محتملة لأن تكون موجهة إلى فئة معينة أو إلى جميع الناس. كما أنها قد تشير إلى مصائب محددة وقعت في الماضي أو تشمل جميع المصائب التي وقعت والتي ستقع. وفي كلتا القراءتين، المعنى يفيد أن بعض المصائب في الدنيا هي جزاء على أفعال لا يرضاها الله، مثل تلك التي أصابت المشركين بسبب تكذيبهم وأذاهم للرسول ﷺ.

---

٧٩- سورة الشورى، الآية: ٣٠. انظر: الفارسي، **الحجة للقراء السبعة**، ج٣، ص٣٦٣؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص٩٩.

٨٠ - انظر: عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، **الحسان في تفسير القرآن** (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات) ج٣، ص١٣٢.

٨١ - انظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج٦، ص٦٣١.

٨٢- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص٩٩.

يتضح من الجمع بين القراءتين يُظهر أن المصائب التي تصيب الناس على نوعين: مصائب بسبب المعاصي، قد تكون المصائب عقابًا في الدنيا أو في الدنيا والآخرة، وينطبق ذلك على المشركين والعصاة من المسلمين. كما قد تكون خيرًا أراده الله بالمصاب، كرفع الدرجات وزيادة الأجر بالصبر عليها، وهذا خاص بالمؤمنين(٨٣).

قال البيضاوي: الآية في القراءة الثانية تخص المجرمين فقط، أما القراءة الأولى فتعم جميع الناس، مؤمنين وكافرين(٨٤).

وأضاف ابن عاشور: إن كانت "ما" موصولة، فإنها تحمل دلالتين؛ عموم المصائب بسبب الأعمال السيئة أو تخصيص فئة معينة. والآية تحذر من أن المصائب قد تكون عقابًا في الدنيا، رغم أن الجزاء الدنيوي ليس دائمًا مطردًا، إذ قد يعاقب البعض في الدنيا وآخرون في الآخرة فقط(٨٥).

٤. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(٨٦).

قرأ نافع وأبو جعفر (الرياح) على الجمع. وقرأ الباقون (الريح) على الإفراد(٨٧).

تُبرز الآيتان قدرة الله ووحدانيته ورحمته بتسخير البحر والسفن، حيث يبيّن ابن كثير أن الله قادر على إيقاف الرياح، مما يجعل السفن ثابتة على سطح الماء. هذه الآيات تظهر نعمة الله التي لا يدركها إلا من يتحلى بالصبر في الشدائد والشكر في الرخاء. لا فرق بين "الريح" و"الرياح" في

---

٨٣ - المصدر السابق.

٨٤- ناصر الدين البيضاوي، **تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (دار الفكر، ١٤١٦هـ) ج٥، ص١٣١.

٨٥ - ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص١٠٠.

٨٦ - سورة الشورى، ٣٢-٣٣.

٨٧- انظر: الدمياطي، **إتحاف فضلاء البشر**، ص٤٩٢. حبش، **الشامل في القراءات المتواترة**، ص٢٥١.

المعنى، حيث تشير "الريح" إلى النوع العام وقد تكون مرتبطة بالعذاب، بينما "الرياح" تدل على التنوع والرحمة(٨٨).

إلا أن ابن عاشور أشار إلى أن ما ذكره بعض العلماء حول ارتباط "الريح" بالعذاب و"الرياح" بالرحمة هو غالبٌ في القرآن، ولكنه ليس قاعدة مطردة، حيث يمكن أن تأتي "الريح" في القرآن في سياق الخير، كما في الآية التي نتناولها، وهو ما يخرم الإطلاق المذكور. وأضاف ابن عاشور أن "الريح" في قراءة الجمهور قد تطلق على الريح الطيبة والنافعة(٨٩).

وفي حاشية الكشاف، يُذكر أن "الريح" غالبًا ما تُستخدم للعذاب، لكن في هذه الآية تشير إلى النعمة والرحمة، حيث تسير السفن بها في البحر، وعند سكونها تتوقف السفن. لذا، فإن "الريح" هنا تُستخدم للجنس، ولا يوجد اختلاف جوهري بين القراءتين(٩٠).

٥. قال تعالى: ﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾(٩١).

قرأ ابن عامر والمدنيان (وَيَعلم) بضم الميم. وقرأ الباقون (وَيَعلم) بفتح الميم(٩٢).

قال الأصفهاني: إن العلم هو إدراك الشيء على حقيقته، وله نوعان: الأول هو إدراك ذات الشيء بحد ذاته، والثاني هو إصدار حكم على الشيء بإثبات ما يثبت له أو نفي ما يُنفى عنه. كما يشير إلى أن العلم قد يكون أثرا يُستدل به على الشيء، مثل علم الطريق أو علم الجيش(٩٣).

---

٨٨- انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١، ص٥٩٥. مكي بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات السبع**، ج١، ص٢٧١. ابن كثير، **القرآن العظيم**، ج٤، ص١١٩.

٨٩- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص١٠٦.

٩٠- انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٣، ص٤٧٢.

٩١- سورة الشورى، الآية: ٣٥.

٩٢- انظر: الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص٣٦٧.

٩٣- الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص٥٨٠.

أما القرطبي، فقد أوضح أن المقصود بالكفار هو أنهم عندما يجدون أنفسهم في عرض البحر محاطين بالرياح من كل جهة أو إذا توقفت السفن عن الحركة، يدركون أنه لا ملجأ لهم إلا الله، ولا يستطيع أحد أن ينقذهم إن أراد الله هلاكهم، فيلجؤون حينها إلى عبادته بإخلاص(٩٤).

قراءة كلمة "ويعلم" بالرفع تدل على أن الجملة استئنافية منفصلة عما قبلها، حيث إن الشرط والجزاء قد اكتمل قبلها، أو يمكن اعتبار الجملة خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: "وهو يعلم الذين"(٩٥)؛ الرفع والاستئناف في الآية يُحتمل أن يحمل تهديدًا للمشركين، مؤكدًا أنه لا مفر لهم من عذاب الله. كما أن حذف متعلق "المحيص" يزيد من غموض التهديد ويضخم معناه. وفيما يتعلق بقول "ويعلم الذين يجادلون"، يمكن أن يُفهم كطلب أو أمر موجه للمجادلين، ليعترفوا بعلم الله ويؤمنوا بما جاء في الآية(٩٦).

قراءة "ويعلم" بالنصب تُظهر أن الجملة معطوفة على تعليل محذوف، يُقدّر بـ "لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون في آياتنا". وهناك تفسير آخر بأن الواو هي "واو المعية"، فيكون الفعل "يُعلم" منصوبًا بفعل مقدر هو "أن". المعنى هنا أن الله يرسل الرياح العاصفة ليهلك من في السفينة أو يُنجيهم، ليعلم المجادلون في آيات الله أنه لا مفر لهم(٩٧).

يظهر أن الآية تشمل الجميع بمعنى: إن شاء الله أرسل الرياح عاصفة، فتغرق بعض السفن، وينجي أخرى برحمته وعفوه، بينما يحذر آخرين ليدركوا أنه لا ملجأ لهم من الله تعالى. والله سبحانه يعلم الذين يجادلون في آياته، فعليهم أن يحذروا من أن يصيبهم ما أصاب غيرهم من

---

٩٤- انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٨، ص٣٥٧.

٩٥- انظر: ابن زنجلة، **حجة القراءات**، ص٦٤٣.

٩٦- انظر: مكي بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات السبع**، ج٢، ص٢٥١. الفارسي، **الحجة للقراء السبعة**، ج٣، ص ٣٦٤.

٩٧- انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص١٠٣.

العذاب والهلاك، إذ لا مفر لهم من عقابه. وفي ذلك عبرة لغيرهم ليتعظوا ويتفكروا في عظمة الله وعدله.

٦. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾(٩٨).

قرأ حمزة والكسائي وخلف "كبير" بكسر الباء من دون ألف ولا همزة على التوحيد، بينما قرأ الباقون بفتح الباء مع ألف وهمزة مكسورة بعدها على الجمع(٩٩).

تتناول الآية صفات المؤمنين الذين آمنوا بربهم وتوكلوا عليه، وهي مرتبطة بما سبقها حيث بيّن الله أن ما عنده خير وأبقى للمؤمنين. فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ ﴾، كما فسر السمرقندي بأن المؤمنين هم الذين يبتعدون عن الكبائر والفواحش، وهي الذنوب التي تستوجب الحد في الدنيا أو العذاب في الآخرة. وأضاف أن المؤمنين إذا غضبوا، يغفرون ويكظمون غيظهم(١٠٠).

وذكر الشوكاني أن كبائر الإثم تشير إلى أعظم الذنوب، بينما الفواحش تُعد من الكبائر مع وصفها بأنها أشد خطورة، مثل القتل والزنا. أما مقاتل فقال إن الفواحش هي الذنوب التي تستوجب إقامة الحدود، بينما رأى السدي أن الزنا تحديدًا يدخل في هذا الوصف(١٠١).

تُفهم القراءتان، الإفراد والجمع، على أنهما تحملان المعنى نفسه؛ حيث يشير الإفراد إلى الجمع باعتباره اسم جنس يشمل القليل والكثير، بينما يدل الجمع على العموم. وكلتا القراءتين تتوافقان مع رسم المصحف. وذكر السمين الحلبي: أن "الأخوان (حمزة والكسائي) قرآ بالإفراد

---

٩٨- سورة الشورى، الآية: ٣٧.

٩٩- انظر: الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج ٢، ص٣٦٨. الجزري، **تحبير التيسير**، ص٢٠٢.

١٠٠- نصر بن محمد السمرقندي، **بحر العلوم**. تحقيق: علي محمد معوض وآخرون (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م) ج٣، ص١٩٨.

١٠١- الشوكاني، **فتح القدير**، ج٤، ص٧٥٧.

(كبير الإثم) هنا وفي سورة النجم، بينما قرأ الباقون بالجمع (كبائر الإثم). وأوضح أن المفرد هنا في معنى الجمع، ورسم المصحف يحتمل كلا القراءتين"(١٠٢).

وأوضح ابن عاشور: أن قراءة الجمهور بالجمع (كبائر) تشير إلى الأفعال الكبيرة ضمن جنس الإثم، وهي الذنوب العظيمة التي نهى الشرع عنها نهيًا جازمًا، وتوعد فاعليها بعقاب الآخرة مثل القذف والاعتداء والبغي، أما قراءة الإفراد (كبير الإثم)، فتعني كبائر الإثم أيضًا، لأن المفرد المضاف إلى معرف بأل يحمل دلالة الجمع (١٠٣).

أما تفسير الشرك بالله: ذهب ابن عباس إلى أن "كبير الإثم" على الإفراد يعني الشرك بالله، وهو أعظم الذنوب، إذ إن الله تعالى يغفر ما دونه من الذنوب(١٠٤).

أيد ابن خالويه هذا الرأي، موضحًا أن الإفراد يشير إلى الشرك فقط، في حين أن الجمع يشمل عدة كبائر مثل الشرك، القتل، الزنا، القذف، شرب الخمر، الفرار من الزحف، وعقوق الوالدين (١٠٥).

وقال الفراء: نقل عن ابن عباس تفسير "كبير الإثم" بالإفراد بأنه الشرك بالله، في حين أن الجمع يشير إلى الكبائر بشكل عام. واعتبر أن الأصل واحد، لكنه أبدى تفضيله قراءة "كبائر" بإضافة "الفواحش" على سبيل الجمع، لتعبر عن شمولية الكبائر(١٠٦).

القراءتان تبرز معنى الشمول والتفرد في وصف الكبائر. قراءة الإفراد تشير إلى الشرك بالله

---

١٠٢- شهاب الدين السمين الحلبي، **الدر المصون**، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط (دمشق: دار القلم) ج٩، ص٥٦١.

١٠٣- انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص١١٠.

١٠٤- انظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٥، ص٧٠. الزمخشري، **الكشاف**، ج٣، ص٥٢٤. الطبري، **جامع البيان في تفسير القرآن**، ج٢٥، ص٢٣.

١٠٥- ابن خالويه، **الحجة في القراءات السبع**، ص٣١٩.

١٠٦- أبو بكر زكريا الفراء، **معاني القرآن** (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م) ط٣، ج٣، ص٢٥.

كأعظم الكبائر، بينما قراءة الجمع تشمل الشرك والكبائر الأخرى مثل الزنا والسرقة والقتل. بذلك، تتكامل القراءتان لتوضيح ضرورة اجتناب جميع الكبائر مع التأكيد على أن الشرك هو أخطرها.

**المطلب الثاني: الخطاب العقدي لمظاهر حكمة الله وآيات قدرته**

ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾(١٠٧)، رواية عن علي رضي الله عنه أن الآية نزلت في أصحاب الصُّفَّة حين تمنوا الدنيا والغنى، فأُشير إلى أن الله لو وسّع الرزق على عباده لَطَغوا وأفسدوا بالمعاصي(١٠٨). وعلّق ابن كثير على ذلك بأن الغنى قد يؤدي إلى الطغيان والبغي بسبب الأشر والبطر(١٠٩).

الله تعالى يقدر الأرزاق لعباده وفق حكمته وعلمه بما يصلحهم. كما أوضح صاحب **الكشاف** أن الله يوزع الأرزاق بما يحقق المصلحة؛ فيغني ويفقر، ويبسط ويقبض، ليحفظ التوازن بين الناس. فلو أغناهم جميعًا لطغوا، ولو أفقرهم جميعًا لهلكوا. ومن ثم، يتناسب توزيع الرزق في الدنيا مع قدرة البشر على احتماله، بينما يبقى فيض الله الأعظم في الآخرة لمن اجتازوا الابتلاءات بنجاح(١١٠).

ويبين الله نعمه، ومنها إنزال المطر بعد اليأس، الذي يُحيي الأرض وينشر الخير والبركات. فهو الولي الحميد الذي يتولى شؤون عباده ويستحق الحمد على نعمه. هذه اللمسة الإلهية ترسم الفرق بين القنوط حين ينقطع المطر، والفرج حين تنزل الرحمة. ومن دلائل قدرة الله خلق السماوات

---

١٠٧- سورة الشورى، الآية: ٢٧.

١٠٨- الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد ابن البيع، **المستدرك على الصحيحين**، رقم الحديث ٣٧٠٨ (دار التأصيل، ١٤٣٥هـ) ط١، ج٤، ص٣٨٢.

١٠٩- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ص ١٨٩.

١١٠- الزمخشري، **الكشاف**، ج٤،ص٢٢٤.

والأرض وما فيهما من مخلوقات متنوعة، تدل على وحدانيته وعظمته(١١١). كما أشار ابن كثير إلى أن الله قادر على جمع كل الخلائق للحشر والحساب، أما المصائب التي تصيب الناس، فهي نتيجة ما اقترفوه من الذنوب، إذ يعبر القرآن بالأيدي لأن معظم الأفعال تُنفذ بها. ومع ذلك، فإن الله يعفو عن كثير منها. ولو آخذ الناس بكل ما كسبوا لهلكوا، إلا أن الله برحمته يمنحهم فرصة للتوبة(١١٢).

ومن آيات الله كذلك السفن الجارية في البحار كأنها الجبال، التي تسير بقوة الرياح التي خلقها الله. ولو شاء الله لأسكن الرياح، فتوقفت السفن أو أغرقها بعواصف نتيجة ما كسب الناس من ذنوب. ورغم ذلك، يتجاوز الله عن كثير من الذنوب، لينجيهم من الهلاك، ويُريهم آياته ليخلصوا له العبادة(١١٣).

**الخاتمة**

في نهاية هذا البحث وصلت إلى الخاتمة التي أدون فيها أهم ما توصلت إليه في البحث من نتائج، وهي على النحو الآتي:

**أهم النتائج**

١- توضيح المعاني ودقة الفهم، فالقراءات القرآنية المتواترة تسهم في كشف المعاني الدقيقة للآيات، مما يعين على فهم النص القرآني فهمًا شاملًا، فاختلاف القراءات في الألفاظ أو الحركات يوضح تعدد الجوانب الدلالية للنصوص.

٢- تُظهر القراءات المختلفة قوة الترابط العقدي في السورة، من خلال إثراء الخطاب العقدي وإبراز المعاني المتعلقة بأسماء الله وصفاته، ووحدانيته، وقضية القضاء والقدر، وحكمة الله في خلقه وأفعاله.

---

١١١- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٣١٦٨.

١١٢- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ص ١٨٩.

١١٣- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٦، ص٣٢. أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٩، ص٣٣٩.

٣- اختلاف القراءات دون تناقض يعدّ من أبرز دلائل الإعجاز اللغوي والدلالي للقرآن الكريم، حيث تكمل القراءات بعضها البعض في بناء المعاني العقدية.

٤- القراءات المختلفة تسلط الضوء على وحدة الشريعة السماوية رغم اختلاف الرسالات والأنبياء، مما يدعم فكرة أن الإسلام دين شامل يتماشى مع مختلف العصور والأمم.

٥- من خلال تتبع القراءات المتواترة، يمكن إزالة اللبس أو الغموض الذي قد يظهر عند الاقتصار على قراءة واحدة فقط، مما يساعد على تقديم تفسير شامل ومتماسك للقضايا العقدية في إزالة الإشكالات العقدية.

٦- اختلاف القراءات يظهر شمولية القرآن في معالجة القضايا العقدية، حيث يُقدِّم زوايا متعددة لفهم العقيدة الإسلامية.

٧- تعميق المفاهيم الروحية والتعبدية، وذلك من خلال توضيح القراءات لمعاني مرتبطة بعبودية الإنسان لله، وأهمية الإيمان بأركان العقيدة مثل الإيمان بالوحي، واليوم الآخر، ومصير المكذبين والمؤمنين.

٨- إبراز دور اللغة في تفسير العقيدة، فاختلاف القراءات يشير إلى أهمية اللغة العربية في إيصال الرسالة العقدية، ويوضح العلاقة بين البناء اللغوي والدلالات العقدية.

**التوصيات:**

١- يجب تكثيف البحث والدراسة حول القراءات القرآنية المتعددة، وبيان تأثير كل قراءة في توجيه المعاني العقدية وتوضيح دلالاتها، خاصة فيما يتعلق بتوحيد الله ورسالاته.

٢- ينبغي العمل على إبراز كيف يمكن للقراءات القرآنية المختلفة أن تساهم في بناء العقيدة الصحيحة لدى المسلمين، وتوجيه الفهم العقدي في مجالات مثل التوحيد، البعث والجزاء، والرسالة.

٣- ينبغي أن تُعطى الأولوية لتعليم القراءات القرآنية وتوجيهها بشكل صحيح في المدارس والمراكز الدينية، لتوفير أساس علمي راسخ يمكن من خلاله استيعاب دلالات القرآن الكريم العقدية.

٤- يجب تحسين أساليب تدريس القراءات القرآنية في الجامعات والمعاهد الدينية، وتوضيح كيف يمكن لكل قراءة أن تساهم في تعزيز التفاهم الديني والعقدي.

٥- يوصى بإجراء مزيد من البحث في كيفية تأثير القراءات القرآنية على تفسير قضايا علمية وعقدية معقدة، مثل مسائل الصفات الإلهية، وعقيدة القدر، وغيرها من المسائل التي تخص التوحيد.

٦- يمكن استخدام القراءات القرآنية المختلفة في معالجة التحديات العقدية التي يواجهها المسلمون اليوم، مثل التعددية الدينية، وعلاقة الإسلام بالديانات الأخرى، وتوضيح المفاهيم الإسلامية بطرق مؤثرة في الخطاب المعاصر.

## References


1. ʿAbd al-Rahman bin Muhammad al-Thaʿalibi, ***al-Hissan fi Tafsir al-Qur'an*** (Mu'assasat al-Aʿlamiyy lil-Matbuʿat).
2. ʿAbd al-Ḥaqq bin Ghālib Ibn ʿAṭiyyah, ***Al-Muḥarrar al-Wajīz*** (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1993).
3. ʿAbd al-Raḥmān bin Muḥammad Ibn Zanjalah, ***Ḥujjat al-Qirāʾāt*** (Beirut: Muʾassasat al-Risālah, 1997).
4. Abū Bakr bin al-Ḥusayn Ibn Mihrān, ***Al-Mabsūṭ fī al-Qirāʾāt al-ʿAshr*** (Cairo: Dār al-Ṣaḥābah li-l-Turāth, 2003).
5. Abū Bakr Zakarīyā al-Farrāʾ, ***Maʿānī al-Qurʾān*** (Beirut: ʿĀlam al-Kutub, 1983).
6. Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf, ***al-Bahr al-Muhit*** (Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1422).
7. Aḥmad bin Muḥammad al-Dimyāṭī, ***Itiḥāf Fuḍalāʾ al-Bashar fī al-Qirāʾāt al-Arbaʿah ʿAshar*** (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 2001).
8. Aḥmad bin Muḥammad al-Khafājī, ***Ḥāshiyat al-Shihāb ʿalā Tafsīr al-Bayḍāwī*** (Beirut: Dār Ṣādir).
9. Aḥmad bin Yūsuf al-Samīn al-Ḥalabī, ***Al-Durr al-Maṣūn fī ʿUlūm al-Kitāb al-Maknūn*** (Damascus: Dār al-Qalam).
10. Al-Faḍl bin al-Ḥasan al-Ṭabrisī, ***Majmaʿ al-Bayān fī Tafsīr al-Qurʾān*** (Beirut: Dār Maktabat al-Ḥayāh).
11. Al-Ḥasan Abū ʿAlī al-Fārisī, ***Al-Ḥujjah li-l-Qurrāʾ al-Sabʿah*** (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1421 AH).
12. Al-Ḥusayn bin Aḥmad Ibn Khālawayh, ***Al-Ḥujjah fī al-Qirāʾāt al-Sabʿ*** (Beirut: Muʾassasat al-Risālah, 1417 AH).
13. al-Husayn bin Masʿud al-Baghawi, ***Ma'alim al-Tanzil fi Tafsir al-Qur'an*** (Dar Ihya' al-Turath al-ʿArabi, 1420).
14. Al-Ḥusayn bin Muḥammad al-Rāghib al-Iṣfahānī, ***Mufradāt Alfāẓ al-Qurʾān*** (Beirut: Dār al-Maʿrifah, 2010).
15. Burhan al-Din Abu al-Hasan al-Biqaʿi, ***Nazm al-Durar fi Tanasub al-Ayat wa al-Suwar*** (Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1415).
16. Fāḍil Ṣāliḥ al-Sāmarrāʾī, ***Balāghat al-Kalimah fī al-Taʿbīr al-Qurʾānī*** (Cairo: Sharikat al-ʿĀtik li-Ṣināʿat al-Kitāb, 1427 AH).
17. Fakhr al-Dīn Muḥammad bin ʿUmar al-Rāzī, ***Mafātīḥ al-Ghayb*** (Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, 1420 AH).

18. Ismāʿīl bin ʿUmar Ibn Kathīr, ***Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm*** (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1419 AH).
19. Maḥmūd al-Ālūsī, ***Rūḥ al-Maʿānī*** (Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī).
20. Maḥmūd bin ʿUmar al-Zamakhsharī, ***Al-Kashshāf ʿan Ḥaqāʾiq al-Tanzīl*** (Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī, 1947).
21. Makkī bin Abī Ṭālib, ***Al-Kashf ʿan Wujūh al-Qirāʾāt al-Sabʿ*** (Beirut: Muʾassasat al-Risālah, 1997).
22. Muḥammad ʿAlī al-Ṣābūnī, ***Ṣafwat al-Tafāsīr*** (Beirut: Dār al-Ṣābūnī, 1417 AH).
23. Muḥammad al-Ṭāhir Ibn ʿĀshūr, ***Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*** (Tunis: Al-Dār al-Tūnisiyyah li-l-Nashr).
24. Muhammad bin ʻAbd Allah al-Hakim, ***al-Mustadrak ʻala al-Sahihayn*** (Dar al-Ta'sil, 1435).
25. Muḥammad bin Aḥmad al-Qurṭubī, ***Al-Jāmiʿ li-Aḥkām al-Qurʾān*** (Riyadh: Dār ʿĀlam al-Kutub, 2003).
26. Muhammad bin Ahmad Ibn al-Jazari, ***al-Tashil li-ʻUlum al-Tanzil*** (Sharikat Dar al-Arqam bin Abi al-Arqam, 1416).
27. Muḥammad bin ʿAlī al-Shawkānī***, Fatḥ al-Qadīr*** (Cairo: Dār al-Ḥadīth, 1997).
28. Muhammad bin Ismail al-Bukhari, ***Sahih al-Bukhari*** (Dar Ibn Kathir, 1407).
29. Muḥammad bin Jarīr al-Ṭabarī, ***Jāmiʿ al-Bayān fī Tafsīr al-Qurʾān*** (Beirut: Dār al-Maʿrifah, 1972).
30. Muhammad bin Muhammad al-Jazari, ***al-Nashr fi al-Qira'at al-ʻAshr*** (Dar al-Kutub al-ʻIlmiyyah).
31. Muhammad bin Muhammad al-Jazari, ***Tahbir al-Taysir fi Qira'at al-A'immat al-ʻAsharah*** (Dar al-Sahabah lil-Turath, 2004).
32. Muḥammad bin Mukarram Ibn Manẓūr, ***Lisān al-ʿArab*** (Cairo: Dār al-Maʿārif).
33. Muḥammad bin Muṣṭafā Abū al-Suʿūd, ***Irshād al-ʿAql al-Salīm ilā Mazāyā al-Kitāb al-Karīm*** (Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī).
34. Muhammad Habash, ***al-Shamil fi al-Qira'at al-Mutawatirah*** (Dar al-Kalim al-Tayyib, 2001).
35. Muhammad Ḥabash, ***Al-Shāmil fī al-Qirāʾāt al-Mutawātirah*** (Beirut: Dār al-Kalim al-Ṭayyib, 2001).

36. Muḥammad Sālim Ibn Muḥaysin, ***Al-Mustanīr fī Takhrīj al-Qirāʾāt al-Mutawātirah*** (Beirut: Dār al-Jīl, 1409 AH).
37. Nasir al-Din al-Baydawi, ***Tafsir Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil*** (Dar al-Fikr, 1416).
38. Naṣr bin Muḥammad al-Samarqandī, ***Baḥr al-ʿUlūm*** (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1993).
39. Sayyid Quṭb, ***Fī Ẓilāl al-Qurʾān*** (Cairo: Dār al-Shurūq, 1412 AH).
40. ʿUmar bin ʿAlī Ibn ʿĀdil, ***Al-Lubāb fī ʿUlūm al-Kitāb*** (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1419 AH).